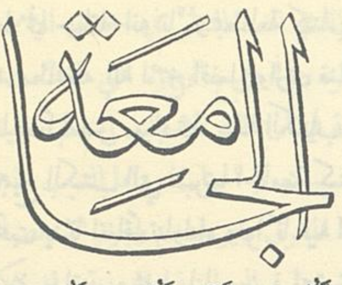
الجزء التاسع السنة الخامسة



مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٦ ٢٩ رمضان سنة ١٣٢٤

الروايات العربية وانفعها لنا

التاريخية أم الاجتماعية

نشرنا الفصل التالي في صدر (رواية الكوخ الهندي) التي صدرت عن نيويورك في منتصف هذا الشهر كمقدمة للطبعة الثانية · ونوجه الانظار خاصةً الى ما جاء في آخره عن ترتيب المبادىء والاصول في الآداب الكتابية والمذاهب الفلسفية في الشرق بين آراء كتّابه

ان الكوخ الهندي ثاني كتاب اشتغل المعرّب بوضعه · اما الكتاب الاول فهو (المرأة في القرن العشرين) للفيلسوف جول سيمون وهو كتاب ادبي فلسفي اجتماعي يعين وظيفة المرأة في هذا القرن ولم يُنشر بعد مع ان مؤلفه رحمه الله اذن قبل وفاته للمعرّب بنشره في كتاب خصوصي منه · وقد عرّب المعرّب الكوخ الهندي في سوريا في سنة ١٨٩٥ اي منذ احدى عشرة سنة · ولما نُشر هذا الكتاب في مصر سرّ به القراء سروراً عظيماً · وكتب الينا

بعضهم يقول انه لم يقع له قط في حياته انه تأثر بمطالعة كتاب تأثره بالكوخ الهندي ومبادئه الجميلة. لانه شعر بعد مطالعته انه اصبح افضل وارقى منه قبل مطالعته

ولم نذكر هذا الامر هنا بياناً لفضل مبادىء هذا الكتاب فانها في غنىً عن ثناء المعرّب . ولا يلذ لنا في جميع الكتب التي نشرتها الجامعة كتاب اكثر مما يلذنا هذا الكتاب . ولذلك كلما وقع تحت بدنا اتفاقاً تناولناه وقرأنا فيه الحوار بين العالم الانكليزي والخارجي وسرد الخارجي تاريخ حياته. ويخيل لنا حين قراءة تلك الفصول انها صورة حقيقية لعالم الكمال الذي ينشده الفلاسفة واهل العقول

وانما ذكرنا ما تقدّم استطراداً الى ذكر السبب الذي اوجب ارتياح القراء اليه . وهو موضوع يجرّنا الى بسط وظيفة الروايات وانواعها والغرض منها . والذي حملنا على طرق هذا الموضوع في هذه المقدّمة ما نقرأه احياناً لبعضهم من الكلام في الروايات وانفعها للشرق وابنائه

بسطنا في غير هذا المكان (١) رأينا في وظيفة الروايات والشروط اللازمة لواضعها فلا نبحث هنا فيها . وانما نبحث في اهم الروايات وانفعها لنا. ومتى قلنا « اهم الروايات وانفعها لنا » خرجت منها الروايات التي يُقصد بها التفكهة وقطع الوقت وهي التي يتجر بها اصحاب المكاتب والمطابع الصغيرة. وانحصر كلامنا في الروايات التي يضعها مؤلفوها لفائدة يقصدونها . وبحثنا هنا في امرين

(الاول) ما هي الفائدة التي نحن اشد احتياجاً اليها في الشرق

(والثاني) اي نوع من انواع الروايات يوصلنا الى هذه الفائدة

الامر الاول — كلنا نبحث في داء الشرقيين ودوائه . وكل واحد منا يشخص العلة من وجه ويصف لها الدواء الذي يراه . فبعضهم يقول داؤنا السياسة وغيره يقول داؤنا الرئاسة. وآخر يقول داؤنا انحطاط التجارة والصناعة والزراعة وعدم وجود قوة سياسية تحميها في داخل الامة وفي خارجها . وغيرهم يقول ان داءنا تعدد عناصرنا ومذاهبنا واستحكام الانقسام والبغض في نفوسنا. وآخر يقول لا بل داؤنا تربية مدارسنا فان دروسها وتربيتها لا تنطبق على حاجاتنا واخلاقنا. وآخر يقول لا بل داؤنا منازعة الاجانب لنا « الرزق والسيادة » في بلادنا منازعة تحول دون اصلاح شؤوننا

(١) نشرت الجامعة في الجزء الثامن للسنة الخامسة مقالة عنوانها (انشاء الروايات العربية والشروط الواجب اجتماعها في واضعها)

على ان المتامل البصير الذي الفـ النظر في اخلاق الامم ومعرفة الاسباب التي ترفعها وتحطها يرى بعد اعمال الفكرة في جميع الوجوه التي تقدمت ان هنالك سبباً فوق جميع تلك الاسباب • ولا مشاحة في ان تلك الاسباب اسباب حقيقية للانحطاط ولكنها في الحقيقة اسباب فرعية اي مسببات لا اسباب • واما السبب الذي اشرنا اليه هنا فهو الاصل الذي تتفرّع منه جميع بلايا المشرق وهو (عدم وجود الشخصيات الراقية بين ابنائه)

قد يمكن ان ترتفع الاسباب السياسية والدينية • قد يمكن ان تروج التجارة والصناعة والزراعة • قد يمكن ان تتحد عناصر الامة ومذاهبها بتأثير يدٍ قوية تحسن ادارة ازمة الاحكام • قد يمكن ان تعود اوروبا الى رشدها فتنظر الى بلاد الشرق نظرها الى امم تريد لها الحياة لا الى مستعمرات • كل ذلك قد يمكن ان يقع باعجوبة او بغير اعجوبة • ولكن وقوعه وحده لا ينيل الشرقيين ما يتمنونه من صيرورة اممهم امماً عزيزة راقية • بل يقيمون حينئذٍ على دورانهم في دائرة الانحطاط التي كانوا يدورون فيها حين كانوا اذلاء ضعفاء فقراء • تراهم يركضون ويجدّون ويجمعون المال اكداساً الى اكداس فتخالهم صاعدين مرتقين والحقيقة انهم ما زالوا يدورون ضمن تلك الدائرة • انهم كانوا من قبل فقراء منحطين فاصبحوا بعد رواج اعمالهم اغنياء منحطين • وربما زادهم الغنى انحطاطاً لان الثروة تبطر صاحبها اذا لم يكن اهلاً لها فضلاً عن انها تسهل له من اتيان الكبائر والصغائر ما كان عاجزًا عنه قبل الوصول اليها

بعد ما تقدم تتضح لنا الاسباب في وجود مسائل نشكو ونعجب منها جميعاً • فاننا نعلم بعده لماذا لا نعتبر اممنا امماً مجموعة بجامعة يحترمها الجميع ويخدمها الجميع بل نعتبرها افراداً متفرّقين ولكل واحد منهم مصلحة خاصة يسعى اليها • ولماذا يبتسم اكثرنا مزدرين ضاحكين حين يسمعون كلمة (المصلحة العمومية) • نعلم لماذا الذين اصبحوا منا قادرين على النفع بثروتهم التي حصلوها (بطرق مختلفة) ليس لهم همٌّ الاّ التمتع بها بوقاحةٍ وبلهٍ دون ان يعملوا شيئاً نافعاً للامة التي خرجوا منها وتحمل كل اثقالهم • نعلم لماذا حكامنا ورؤساؤنا مدنياً ودينياً متى وُلّوا شأناً عمومياً استخدموه لجرّ النفع الى انفسهم لاعتبارهم الرعية بقرة حلوباً • نعلم لماذا نرى الاقوال عندنا كلها سامية جميلة والاداب الاجتماعية والسياسية في ارقى مظاهرها في الظاهر ولكن الافعال والبواطن مما يُضحك ويُبكي • نعلم لماذا لا نقدر على الاجتماع والتعاون ففقدنا بذلك اعظم القوات والعوامل في رفع الامم كانشاء الجمعيات المختلفة للعلم والأدب والزراعة والصناعة والتجارة التي عليها مدار الارتقاء في هذا العصر وبدونها لا يقدر

الفرد ان يصنع شيئاً عظيماً او يحصل حقاً ضائعاً. حتى قال بعضهم في اوروبا ان جمعيات العملة والزراعة والتجارة والصناعة هي التي تسوق اليوم السياسة والساسة في سبيل الارتقاء بقضيب من حديد

فالدعوة الى « ايجاد شخصيات راقية » في الشرق وتسهيل السبيل لها هي خير ما يُخدم به الشرق وابناؤه . وهذه الشخصيات الراقية توجد اما في الهيئة الحاكمة وحينئذٍ ترقي الامة وتوجد فيها شخصيات راقية طوعاً او كرهاً واما في الهيئة المحكومة فتلزم الهيئة الحاكمة سبل الرشاد والسداد طوعاً او كرهاً . وارتقاء كل امة انما يقاس بعدد الشخصيات الراقية التي فيها. وهي نتيجة تهذيب النفس والعقل وثمرة اختمار المبادىء الكريمة فيها وتأثير الوسط الذي يعيشان فيه جيلاً بعد جيل. وما « الاصلاح الاجتماعي » الذي يدوي صداه في آذان الناس في هذا العصر الا هذا الاصلاح

على ان مقدمة رواية كهذه المقدمة لا تحتمل هذا البحث وليس هو من مواضيعها. وانما جرّ الكلام اليه ما قصدناه من بيان المبداء الاول الذي يحتاج الشرق اليه وبدونه لا تقوم له قائمة لانه يبني على غير اساس . فانفع المطالعات لابناء الشرق ما كان موضوعه « الاصلاح الاجتماعي » الذي تقدّم ذكره . الذي اهم اغراضه ومراميه « ايجاد شخصيات راقية »

الأمر الثاني — « ايّ انواع الروايات توصلنا الى الفائدة التي تقدّم ذكرها في مقدمة الكلام». وهذا هو موضوع هذه المقدمة الحقيقي

ان في الطبيعة البشرية عادة مألوفة وهي « جرّ الانسان الحبل لصوبه » كما يقول العوام . فكل انسان يدعو الى مبداءه ومذهبه ويقبح راي غيره . واحياناً يكون هذا التقبيح مضحكاً واحياناً يكون مقبولاً . وانما يكون مضحكاً متى كان المقبح لا يرى الا بعين واحدة فاما ان يجهل ما في رأي غيره من الصواب واما ان يتجاهله لترويج بضاعة او لاعتقاده حقيقة انه غير صواب. ومذهب « الجامعة » ومبادئها في رواياتها وغير رواياتها معروفة عند قرائها فلا حاجة الى بسطها لتبيان فضل «الروايات الاجتماعية » عندها على سائر الروايات . ولكنا مع هذا لا نجرّ الحبل كثيراً لصوبنا لكراهتنا هذا الخطاء الذي قد يقع فيه غيرنا

ان الروايات التي تُنشر الآن في اللغة العربية بعضها موضوع للفكاهة والخلاعة وهذا النوع لا ننظر فيه لانه لا يستحق نظراً . وبعضها معرّب والقصد منه ابراز احاسن الروايات الافرنجية وهو نادر جداً وقلما يكون مستوفياً شروط تلك الروايات. وبعضها تاريخي .

وهذا النوع التاريخي قسمان . فقسم منه يتضمن تاريخ الامم الاوروبية وقسم يتضمن تاريخ بعض امم المشرق . اما القسم الاول فلا يستحق النظر ايضاً لاننا في غنى عن تاريخ امم اوروبا ومن يبرز منه شيئاً عندنا فلا يبرزه الاَّ للفكاهة . واما القسم الثاني وهو تاريخ بعض امم المشرق فالكلام فيه حسن لانه يوقف اهل ذلك التاريخ على تاريخهم ولكن يتوجه على الروايات التاريخية اربعة اعتراضات

﴿ الاعتراض الاول ﴾ انها امر « كمالي » بالنسبة الينا . فان التاريخ لا يخرج عن كونه عبارة عن ذكر ايام مضت وحوادث خلت . والامم التي لم تتكون بعد او التي تكوَّنت وانحلَّت لا يفيدها تاريخها شيئاً سوى تذكيرها بعظمة ساقطة ومجد ذاهب . وهي قبل كل شيء تحتاج الى قوات تنهض بها وتوجد « الشخصيات الراقية » التي اشرنا اليها اضعاف حاجتها الى تاريخها . وان علم التربية وعلم الاجتماع والنشاط والحماسة للعمل ونصب اغراض شريفة امامها وحثها على السعي اليها وجمع كلمتها عليها بتأليف رأي عام منها كل هذه مقدَّمة فيها على جميع علوم التاريخ البشرية والالهية . بل ان اصغر مبادىء الزراعة الاولى واحقر مبادىء الصناعة الاولى مفضلة فيها على جلال التاريخ وعظمته . فالذي يصرف فكرها الى حوادث تاريخها الماضية بكتبه ورواياته قد يفيدها ولكن فائدتها من ذلك لا تكاد تُذكر لان مَثلها حينئذٍ يكون مثل فقير ذي اطمار يعلق في ثوبه ساعة وسلسلة من نضار . قال برناردين دي سان بيير مؤلف هذه الرواية (الصفحة ٣٩) « اية حاجة بنا الى التاريخ وكتبه واي تأثير للتاريخ في سعادتنا في الارض . بل اية علاقة بين السعادة وذكر حوادث مضت وايام خلت . ان تاريخ ما كان لهو تاريخ ما هو كائن وما سيكون » وقال الفيلسوف نيتش في كتابه (ما وراء الخير والشر) « ان المؤرخين لكثرة تفكيرهم في الماضي وتنقيبهم فيه ينتهون الى ان ينزلوا التاريخ منزلة كل شيء فيصير مثلهم مثل السرطان الذي يمشي الى وراء وهو يحسب انه يمشي الى امام » يريد بذلك انهم يتأخرون وهم يحسبون انهم يتقدَّمون

﴿ الاعتراض الثاني ﴾ ان الروايات التاريخية هي سمٌّ للتاريخ قتَّال وذلك لانها تكون مزيجاً من الحوادث المخترعة والحوادث التاريخية وفي ذلك افساد التاريخ بدل تحقيقه . ولا بأس من ورود التاريخ في الروايات ولكن يجب ان يكون وروده عرضاً والعمدة تكون على ما في الرواية من الافكار والمبادىء الاجتماعية التي هي غرض الرواية الحقيقي . لان الروايات الخطيرة الهامة في هذا العصر انما هي روايات اجتماعية

﴿الاعتراض الثالث﴾ ان كتب التاريخ تكتب للخواص فالكاتب يجد في نفسه شيئاً من الجرأة على الجهر بما يرى الجهر به حقاً في التاريخ وان ساء بعضهم لان في افاضل الخواص من كل الامم ميلاً لمسامحة الكاتب ومعذرته اذا كانوا يعتقدون اخلاصه . اما روايات التاريخ فاكثر اعتمادها في رواجها على العوام والسذج وهؤلاء لا يسامحون ولا يعذرون . ولذلك يضطر الكاتب الى مجاراتهم ترويجاً لبضاعته فيشوه التاريخ في رواياته بكتمان ما كان الجهر به من اول شروط التاريخ وبتحسين وتزيين امور تزيد السذج تمسكاً باوهامهم واغلاطهم . خصوصاً اذا كان الكاتب من امة والقراء من امة وعلى الاخص في بلاد الشرق . وبذلك يكون وجود تلك الروايات وعدمها سيين اذ الفائدة الحقيقية في الروايات هي ما فيها من الجرأة والقوة الادبية التي تحمل قراءها على ترك ضعفهم واوهامهم لا زيادة تمسكهم بها

﴿الاعتراض الرابع﴾ قال المسيو ادوار رود منذ سنتين في مقالة افتتاحية في جريدة الفيغارو في اثناء كلامه عن التاريخ وكبار المؤرخين الفرنسويين كتيبرس وتان ورنان وميشله وغيرهم ما خلاصته : انه يجب على الناس ان يعلموا ان كتب التاريخ التي يقرأونها باللغة الفرنسوية وغير الفرنسوية لا يركن اليها مهما ادعى اصحابها التحقيق والتدقيق . وذلك لسببين . الاول انهم يتخذون فيها طرق الاستنتاج والقياس وفي اكثر الاحيان يجيء استنتاجهم وقياسهم فاسدين ولذلك ترى آراءهم في التاريخ متخالفة متباينة ينقض بعضها بعضاً . وكل مؤرخ منهم يكتب التاريخ كما يتراءى له . والثاني ان المصادر التي يعتمدون عليها ويستقون منها اكثرها خطأ لان رواتها اخطأوا في النقل والرواية . وانك لترى المؤرخين الذين عاشوا في الزمن الاخير اذا كتبوا تاريخه اختلفوا في رواية حوادثه وتفسيرها فكيف بهم اذا راموا كتابة تاريخ زمن لم يشهدوه ولا علموا شيئاً عنه غير ما نقلته الكتب لهم . وليس في التاريخ شيء ثابت يمكن الوثوق بصحته غير الحوادث والارقام والاوراق الرسمية التي وصلت الينا من تلك الازمنة البعيدة . قلنا . وكل من تصفح كتب المؤرخين العربية والافرنجية ورأى فيها تناقض الآراء والحوادث والارقام لا يسعه الا ان يسلم بصحة هذا القول الذي ساء مؤرخي اوروبا ولكنه صحيح . وما التحقيق في التاريخ خصوصاً التاريخ القديم وبالاخص الشرقي منه الا خرافة ودعوى لا يقوم عليها دليل . وليس هنالك تاريخ بل آراء مختلفة وظيفة الباحث فيها (الترجيح بينها) لا (تحقيقها) . وانزال تلك الآراء والحوادث منزلة رفيعة من الاهمية وبذل الانسان قوته

ونشاطه وعلمه ووقته فيها انما هو من قبيل الاشتغال بشيء مشكوك به وفائدته لا تعدل التعب فيه . ولذلك قال رنان قبل وفاته : انني آسف لانني صرفت عمري بكتابة تواريخ قل من يتصفحها احد بعدي . قال ذلك مع انه اذا لم يكن في كتبه شيء غير جمال انشائه في كتاباته فان هذا كاف كما قال بعض كتاب الفرنسويين لان يبقي جميع ما كتبه خالداً بين ايدي الناس ومقصداً لطلاب الجمال وحلاوة القلم

فبعد ما تقدم لا نرى للروايات التاريخية وظيفة سامية بين الروايات . الا اذا كان المقصود بها مجموعة قصص وفكاهات لتسلية الخاطر وترويح النفس في ساعات الفراغ . وظاهر بنفسه بعد هذا ان الوظيفة العليا بين انواع الروايات هي للروايات الاجتماعية الفلسفية

وقد ذكرنا كل ما تقدم لغرض لم نذكره حتى الآن وهو الدفاع عن الروايات الاجتماعية والفلسفية . فان بعض الكتاب رأى ان هذه الروايات « روايات كمالية » لا نحتاج اليها في هذا العصر بل نحتاج الى روايات Pratique وربما وجد قوله هذا موافقين ومصدقين له دون ان ينظروا في لباب هذا الموضوع لان الناس اعتادوا موافقة من يعتقدون فيه اصالة الرأي وصدق النظر . وقد تقدم اثبات ان الروايات الغير الاجتماعية هي الروايات الكمالية

وقد يستغرب القارىء اهتمامنا بهذا الموضوع الصغير وتخصيص بضع صفحات به . ولكن الكاتب الذي تتبع آراء الشرقيين ومطبوعاتهم بانتباه وامعان لا يعده موضوعاً صغيراً بل كبيراً . وربما يراه اكبر موضوع اذا نظر في ما يلي

ان كثرة الكتاب في الشرق وتعدد الآراء وتنوع اللغات والتربيات قد جمعت في كتبه ومجلاته وجرائده جميع الآراء الفلسفية ومذاهب الادب الكتابي . قد اجتمعت متناقضة متضاربة واصبحت خليطاً من جميع المذاهب في الكرة الارضية . فترى فيها مذاهب سبنسر وكونت ودروين وماركس والقديس توما وافلاطون وارسطو وابيقور (الكلبي كما يسميه جمال الدين الافغاني) وفلاسفة الاسكندرية وشوبنهور ونيتش وقنت وزولا وهيغو ومذاهب القرآن والتلمود والتوراة والانجيل والفيدا — كلها اي كل هذه المذاهب المختلفة تراها فيه متجاورة مشتبكة اشتباك الاسل . وليس هذا بالامر الغريب العجيب فان بابل وجدت قبل اليوم على ما جاء في التوراة . . وانما الغريب العجيب امران . الاول اجتماع المتناقضات من هذه المذاهب في حيز واحد دون ان يفطن صاحب هذا

الحيز لها . والثاني تسفيه صاحب احد هذه المذاهب لمذهب آخر منها من وجه مذهبه وبطرق مذهبه بدل ان يسفهه من الوجه الخاص بهذا المذهب. وغني عن البيان اننا نتكلم هنا عن المذاهب الكتابية والفلسفية والادبية لا المذاهب الدينية . فترى مثلاً بعضهم يكتب يوماً كانه على مبادىء كونت صاحب الفلسفة الوضعية Positivisme السائد روحها اليوم في اوروبا واميركا ويوماً تراه يكتب كانه على مبادىء فنت وشوبنهور الايديالستية. تراه يوماً ينهج منهج زولا في كتاباته الناتوراليستية (تقليد الطبيعة) ويوماً ينهج منهج فيكتور هيغو في كتابته الرومانتيكية الايديالستية. وقد قرأنا يوماً في جريدة يومية مصرية كلاماً عن الوطنية قالت فيه ان الوطنية اثر من آثار الهمجية القديمة مع ان الرصيفة تدافع عادة اشد دفاع عن جميع المبادىء التي هي عماد الوطنية ودعامتها. وعلة هذا الاختلاط والاختباط عدم وضوح المبادىء بعد لابناء الشرق للاجتماع حولها احزاباً احزاباً كل حزب يعرف اصل مبداءه وفروعه ويجعل خطته الدفاع عنه وعنها لموافقتها مزاجه واخلاقه وآراءه. واليك مثالاً لهذا الاختلاط والجهل باصول المبادىء

قال بعض الكتاب ان الروايات الاجتماعية والفلسفية (روايات كمالية) والاهم منها روايات Pratique وبعدهذا القول قال ان احوالنا تحتاج الى اصلاح وخير سبل الاصلاح تقبيح الرذائل الشائعة كالكذب والخداع والمجاملة والمقامرة والمسكر والبورصة وغيرها من الرذائل والمنكرات التي نئن تحت اعبائها

فالذي وقف على اصول المبادىء الفلسفية والادب الكتابي يستغرب هذا القول . لانه يعلم ان الادب الكتابي في الفلسفة نوعان Idealiste و Realiste فالادب الايديالستي مشتق من قوى النفس والعقل . والادب الريالستي او الناتوراليستي مشتق من الطبيعة . الاول يعتمد في التأثير والاصلاح على قوى نفس الانسان ويقدّم تأثيرها على كل تاثير . والثاني يعتمد على الطبيعة وقواتها وتقليدها . الاول يقول صوروا ما هو اسمى من الطبيعة لرفع النفوس به . والثاني يقول ان ما هو اسمى من الطبيعة خيالي وهمي او كمالي وحسبنا الطبيعة وتقليدها وتصويرها لان فوائدها Pratique فاذا عدتَ الان الى الاعتراض الذي تقدّم وجدت ان المعترض يقول ان المذهب الايديالستي امر كمالي. وهو اعتراض جائز مثلاً لمن كان ريالستياً كالفيلسوف نيتشه الذي ادمى الايديالست نقداً وتهكماً . ولكن متى سفّه المعترض المذهب الايديالستي ذلك التسفيه ثم عاد فقال الفوا في اجتناب الكذب والخداع وما اشبهها من النقائص الاجتماعية فانه يخلط بين المبادىء

دون ان يشعر . ذلك لان توقع الاصلاح من محاربة الكذب والخداع وما اشبههما هو من مذهب الايدياليست . ومذهب الرياليست يتساهل احياناً مع الكذب والخداع وقد قال نيتش انهما حق للضعيف ومن ملازمات العمران . فالنتيجة التي تخرج من هذا هي ان المعترض يسفه من جهةٍ مذهب الايدياليست لانه خيالي وهمي في رايه ومن جهة اخرى يدعو الى اصلاح البشر به . وهو منتهى السذاجة والجهل بالاصول

وليس غرضنا في هذا الفصل شرح مذهب الايدياليستيين والرياليستيين واظهار آثارهما في المجتمع البشري ومبلغ تاثير كل منهما في اصلاح الارض فان ذلك بحث فلسفي طويل متشعب الطرق كثير الفروع . وسنغتنم اول فرصة لابداء راينا في هذين المذهبين . انما غرضنا هنا ان نوجه الانظار الى وجوب فصل المبادىء في الشرق وترتيبها ووضع كل واحد منها في مرتبته وبابه تسهيلاً للنظر فيها واختيار افضلها لنا . فضلاً عن ان الخلط بينها دليل على الجهل بها . والجهل بها دليل على انحطاط العلم عندنا وكونه لا يزال في طفوليته

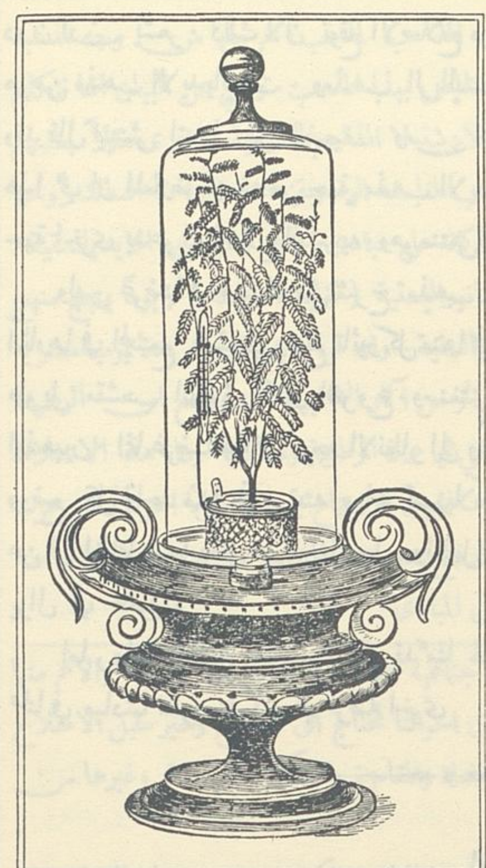
اما رواية الكوخ الهندي التي قدَّمنا لها هذه المقدمة فمذهبها ايدياليستي محض . ولنا في مبادئها نظر سنذكره في فرصة اخرى

نبي جديد للطقس

(اكتشاف نبتة اميركية تنبئ عن تغيير الطقس)

لا يخفى ان ما اتصل اليه العلم الى الآن من الوسائل المنبئة عن الطقس وبعض الاعراض الجوية والارضية لا يروي غليلاً لانه لا ينبئ قبل وقوع العرَض بمدة طويلة وكثيراً ما تكذب نبوءته . على ان عالماً نمساوياً من علماء الظواهر الجوية الآن يدعى « ج . ف . نواك » زعم انه اهتدى الى ما يقضي هذا الوطر ويقال ان حكومته جهزته بالمال في ما مضى لتحقيق اكتشافه

وتحرير الخبر ان هذا العالم صادف في اميركا نبتة تدعى بالاصطلاح النباتي اللاتيني Abrus Praecatorius L. nobilis N. وقد دعاها نبتة الطقس وهي تشبه النبات الحساس



Abrus Praecatorius L. nobilis N.

النبتة التي تنبئ عن تغيير الطقس مستنبتة في مختبر العالم نواك

الذي يرى نادرًا في بعض الحدائق الخصوصية في الشرق . ولاحظ مرة ان وريقاتها التفت على نفسها وظهرت كانها جفت وذبلت واصبحت بلا حياة فلم يلاحظ سببًا لذلك ولكنها بعد بضع ساعات انبسطت وانتعشت وعادت الى حالتها الطبيعية . وبعد اعمال الفكرة في سبب ذلك وتجربه تأكد ان تأثر اوراق هذه النبتة لم ينجم عن تغير في تأثير النور او الرطوبة بل عن سوابق تأثير زوبعة عنيفة حدثت بعد ثلاثة ايام . صادف العالم نواك هذه المصادفة سنة ١٨٨٦ ومن ثمّ جعل يتحرّى تجرباته الدقيقة التي افضت به الى النتيجة المرغوبة وكان معظم تلك التجربات في حديقة كيو "Kew Gardin" في لندن .

وذلك انه كان يلاحظ جيدًا وريقات تلك النبتة ولونها والعرق الذي تتصل به (وهذه الوريقات تختلف بين ١٢ – ١٧ زوجًا) ويستقرىء العوارض التي تحصل بعدها الى ان اصبح يستدل منها على نوع وقوة وجهة تلك العوارض التي تحدث في برهة ثلاثة ايام (بعد التأثير الذي يظهر على النبانة) وعلى بعد ٧٥ – ١٠٠ كيلومتر (٤٧ – ٦٢ ميلاً) . وكان يلاحظ على الخصوص ان قلة ضغط الجو (باصطلاح البارومتر) اي خفة الهواء يستدل عليه قبل ثلاثة ايام من توتر وريقات النبتة واتجاه حركة اعصابها الى فوق والعكس بالعكس . وكان يستدل من ذلك ايضًا على حالة المطر على مسافة لا تقل عن ٣ آلاف كيلومتر (١٨٦٤ ميلاً)

على ان اهمية التأثرات التي تبدو في وريقات تلك النبتة انما هي في الدلالة السابقة

على اضطرابات الطبيعة العظمى كالعواصف والزوابع والسيول العرمة والزلازل وانفجار البراكين والمناجم الخ قبل نحو ٢٤ ساعة على الاقل وعلى بعد نحو ٧ آلاف كيلومتر من جميع الجهات

يرتئي بعض العلماء مثل اندره وزنجن وبلياري ان للعوارض الجوية والانفجارات البركانية علاقة بكلف الشمس فهذا الراي حدا العالم نواك الى تعليل دلالات هذه النباتة على تلك العوارض بعلاقة لها مع كلف الشمس ايضاً لان تلك الكلف ليست مواضع باردة في الشمس كما كان يظن وانما هي عواصف شمسية هائلة تضطرب لها الكهربائية الجوية والمغنطيسة الارضية وكذلك تتأثر منها تلك النبتة الشديدة الاحساس (اذا كانت مزروعة في حالة خاصة)

وقد عني العالم نواك في ملاحظة كلف الشمس ايضاً لكي يعلم متى تكون في منتصف القرص فرأى ان تلك الكُلَف (البقاع) لا تجعل ثورة في جو الشمس الا بعد ٢٤ ــ ٢٨ يوماً من ظهورها وحينئذٍ تقابلها اضطرابات الارض الناجمة عن تأثيراتها ولاحظ ان تلك النبتة الحساسة اول ما يتأثر من تلك الاضطرابات وان موضع الاضطرابات التي تحصل في العالم الارضي يُستدَلّ عليها من اتجاه الحركة التي تبدو في عرق النبتة المورق و يستدل على شدتها من ظل لون الوريقات اي ان اشباع اللون يدل على شدة الاضطراب

وقد اجتهد العالم نواك مع بعض زملائه في دراسة النباتات في اوستريا وفرنسا وانكلترا وجمع ملاحظاتهم ووحدَّها في نظام واحد ينبئ عن العوارض الطبيعية المختلفة . وهو يقول ان اختباراته وملاحظاته تبرهن على ان بين تلك النباتة في حالات خاصة والاضطرابات الناشئة في الجو وقلب الارض علاقة (ولعله يربد بها جامعة التأثر من اضطراب الجو الشمسي كما مرّ تعليله)

ويقال ان العالم نواك كان في الشهر الماضي في لندن ينشئ مركزًا « لنبي الطقس الجديد » وسينشئ مركزين آخرين ايضاً في نيويورك وطوكيو (اليابان) وفي مدينة اخرى في الجنوب لكي تُعرَف من تلك المراكز الاربع جميع الاضطرابات الارضية والجوية في كل نقطة في العالمين . وعند ذلك يتسنى له ان ينشر في كل اقطار المسكونة نشرات يومية تنبئ عما يأتي :ــ

١ً التقلبات الجوية المنتظرة قبل ٣ ايام في دائرة تبعد عن المركز نحو ٣ آلاف كيلو متر. ٢ً سقوط الامطار او الصحو قبل ٣ ايام في نفس الدائرة المذكورة. ٣ً اضطرابات

الطبيعة الخطيرة كالعواصف والزوابع والسيول العرمة والطوفان والزلازل قبل ٢٤ يوماً في دائرة تبعد عن المركز نحو ٧ آلاف كيلومتر · ٤ً الطقس المحلي على بعد ٧٥ ــ ١٠٠ كيلومتر قبل ٧ ايام

ولاجل هذا الغرض انتخب من كوبا عدة اصناف من هذا النبات لكي يستنبتها في انكلترا (٠٠٠)

عجائب اميركا وفكاهاتها

مشاهدات عيانية في البلاد الاميركية

ان كلامنا عن المدنية الاميركية وآثارها العمرانية والسياسية يحتمل موضوعين · الاول بحث في اعماق المدنية الاميركية واسباب نهضتها وعظمتها في السياسة والتجارة والصناعة والزراعة · والامور التي يُخشى منها على عظمتها في المستقبل · والثاني سرد ما فيها من عجائب وفكاهات لا توجد في امة اخرى غيرها وهي تدهش الاوروبيين انفسهم · ولذلك رأينا ان نقسم كلامنا عن اميركا ومدنيتها الى قسمين · الاول « درس في المدنيَّة الاميركية » ونضمّنه بحثاً اجتماعياً فلسفياً · والثاني « عجائب اميركا وفكاهاتها » ونضمّنه كلاماً اخبارياً عن فكاهاتها وغرائبها · وبذلك نتمكن من نشر فصلين في شؤون اميركا في كل جزء دون ان يمل القارىء لتنوّع البحث وتعدد مواضيعه · ومتى استوفت الجامعة الكلام عن اميركا ومدنيَّتها في سنة او سنتين تكون ابحاثها هذه في هذا الموضوع الجليل اول كتاب عربي جدي كُتب في المدنيَّة الاميركية باللغة العربيَّة · ونعاهد القراء ان لا نترك فائدة او غريبة في المدنيَّة الاميركيَّة الا ونقيّدها في هذا الكتاب · وسيحتوي كل جزء من

الجامعة على البابين اللذين تقدمت الاشارة اليهما. احدهما «درس في المدنية الاميركيَّة» والثاني «عجائب اميركا وفكاهاتها» وهذا هو الباب الثاني

بنك البنوك

بنك لا وجود لمثله في غير اميركا

في نيويورك بنك لا مثيل له في العالم. واسمه Clearing House اي بيت «التصفية» ونحن نسميه (بنك البنوك) وهو جمعية مالية انشأتها بنوك نيويورك الهامة وعددها ستون بنكاً واليك الغرض من انشائها

ان الناس هنا يتعاملون بحوالات على البنوك اي «شك» فكل صاحب مصلحة او مال يودع ماله في احد البنوك وافضلها المضمون من الحكومة ويأخذ من بنكه دفتر حوالات ومتى اراد ان يدفع مالاً لاي كان كتب حوالة على البنك في دفتر الحوالات «الشك» ودفعها لدائنه. والمال هنا يُدفع بهذه الطريقة اذا كان مقداره مائة ريال او ريالاً واحداً ورب رجل يأكل في مطعم ويدفع ثمن الطعام حوالة على بنكه (١)

ولكن كيف يقبض هذه الحوالات الذين اخذوها. هل يقبضونها من البنك الذي حُوّل عليه. كلاَّ فان لكل واحد بنكاً وهذا البنك يدفع اليه اذا كان معروفاً عنده قيمة هذه الحوالة اي يقيدها له في حسابه ويتولى تحصيلها من البنك المحوَّل عليه. ولكن كيف يحصلها من البنك المحوّل عليه ؟ لو اراد كل بنك ان يُرسل محصلين الى البنوك التي عنده حوالات عليها لاقتضى ذلك تعباً شديداً وزمناً طويلاً. ولذلك اتفقت البنوك وانشأت الجمعية التي اشرنا اليها لدفع هذه الحوالات وقبض قيمتها. فكل بنك يُرسل كل يوم الى كلارين هوس «مركز ادارة الجمعية» نائبين عنه يحملان الحوالات التي وردت على بنكها وهناك يلتقي ممثلو البنوك جميعها ليتحاسبوا. فيعلن الرئيس في الساعة العاشرة صباحاً

(١) هذا اذا كان معروفاً عند صاحب المطعم. ولكن بعضهم يغتنم فرصة ثقة الناس بعضهم ببعض ويزوّر حوالات باسم غير اسمه فلا يدفعها البنك الذي اسمه في الحوالة. وان في مطعم مارتين الفرنسوي الذي هو من اشهر مطاعم نيويورك لوحاً معروضة فيه جميع الحوالات التي دُفعت للمطعم ثمناً للطعام ولم يدفعها البنك ولم يُعرف اصحابها بعد ذلك ولهذا لا تُقبل هذه الحوالات الاَّ من اناس لهم مكاتب معروفة

افتتاح الجلسة . وفي اقل من نصف ساعة يعلم ممثل كل بنك قيمة الحوالات المسحوبة على بنكه فيدفعها وهو واقف الى الجمعية والجمعية توصلها الى البنوك التي دفعت تلك القيمة عن ذلك البنك . واذا تأخر البنك عن دفع القيمة الى ما بعد الساعة الواحدة ونصف بعد ظهر ذلك اليوم أُعلن افلاسه . وكل واحد من مستخدمي . بنك البنوك . يغلط مرة في حساب الارقام يُطرَد في الحال . وتبلغ قيمة الحوالات المقبوضة والمدفوعة كل يوم على هذه الطريقة ١٢٠ او ١٥٠ مليون ريال . وهو اختراع مالي جميل لانه يساعد على الاقتصاد في الوقت والتعب شأن الاختراعات الاميركية

خزينة المستودعين

مال لا يناله نار ولا لص ولا طوفان ولا ثورة

قال الفيلسوف جول سيمون في كتابه « المرأة في القرن العشرين » يصف وهن الحياة وتقلباتها انه ليس في الدنيا ثروة يقدر الانسان ان يثق كل الثقة بامتلاكها . فان اموال الاغنياء تذهب بعواصف البورصة والتجارة والثورات شر مذهب . حتى ان رئيس الامة نفسه ليس في مأمن من عواصف الشعب . ولكن يلوح لنا ان الاميركيين قد اخترعوا طريقة تقي المال من عواصف الحياة ونريد بها « خزينة المستودعين »

خزينة المستودعين « باستيل المال » في نيويورك اخترعها الاميركيون واخذها عنهم الاوروبيون وهي مستودع واسع تحت الارض يحتوي على ٢٥ الف صندوق حديدي بعضها صغير جداً وبعضها كبير كالبيت يمشي فيه الانسان منتصباً (١) ولكل انسان حق في استئجار احد هذه الصناديق واجرتها تختلف بين ٥ ريالات و ٨٠٠ ريال: ومتى استأجر انسان احدها وضع فيه اثمن ما عنده نقداً واوراقاً وحلى او سبائك فضة يخزنها الى حين ارتفاع سعرها . واصبح في امن عليها من طوارىء الحياة . فان المكان يخفره خفراء خصوصيون في النهار والليل وهم يطوفون دهاليزه وغرفه في ساعات معينة . وسقفه وجدرانه مصفحة بالفولاذ فلا تفعل فيها النار واذا اغلق بابه امتنع دخول الماء اليه ولو كان طوفاناً . واذا ثار الشعب ورام الدخول اليه تُفتح « حنفيات » فوق الباب فيندفع منها بخار كاوٍ يملأ المكان كله ويميت جميع من دخل اليه . وامام الباب بساط من « كاوتشو » لمسح الاقدام والحقيقة انه وضع هناك ليستر سلكاً كهربائياً ممدوداً الى الداخل . فاذا مرَّ احد على هذا البساط

(١) ان ارتفاع صندوق المستر كولد الغني المشهور ثلاثة امتار وهو كجبل من حديد

قُرِع جرس في الداخل بمجرّد المرور عليه تنبيهاً الى قدوم قادم

وصاحبة هذا المستودع شركة تُدعى (Safe Deposit Company) وهي تضمن ايضاً خزائن المال الموضوعة خارج مستودعها هذا في البنوك والبيوت التجارية الكبرى . ولكنها في هذه الحالة توجب على صاحب الخزانة المضمونة عندها ان لا يفتح خزانته الا في الساعة التي يُتفق عليها بينه وبينها وان يكون احد مستخدميها شاهداً فتحها . وهي تضمن اليوم خزانة المستر مرغن Morgan الغني المشهور . وميعاد فتحه خزانته كل يوم في الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ صباحاً الا يوم السبت فانه يفتحها في الساعة الثانية ونصف بعد الظهر . وبين الخزانة المضمونة وادارة هذه الشركة سلك كهربائي ممدود فكلما فُتحت الخزانة علمت ادارة الشركة بفتحها حال فتحها . فاذا لم يكن فتحها في الساعة المتفق عليها علمت الشركة ان الذي فتحها لص فتنبهت اليه في الحال

والصناديق كلها اي التي عندها والتي في الخارج لا تُفتح الا باتفاق ثلاثة مفاتيح بحسب اصطلاحات خصوصية

ليسوا باميركيين فلا تتشبهوا بهم

قلنا في فصل سابق ان نيويورك « مدينة الغرباء ولا غريب فيها » اشارة الى ان كل غريب ينزل فيها يصبح كواحد من اهلها . وهذه الحقيقة يحتاج الى معرفتها كل قادم الى نيويورك بل اميركا كلها . فانه كثيراً ما يرى القادم الجديد في الشوارع مناظر مدهشة قلما يراها في ارض اخرى . فقد يرى مثلاً امرأة في ساحة عمومية جالسة على مقعد بين الناس وهي تدخن سيكاراً . . ويرى اخرى معربدة ثائرة وهي جالسة على مقعد امام المارة تمسح عن جبينها ووجهها دماً جارياً لان رأسها شج حين سقوطها على بلاط الشارع وهي سكرى . ويرى بعض الرجال والنساء جالسين في ليالي الحرّ ازواجاً ازواجاً على تلك المقاعد والمرأة معانقة الرجل او الرجل المرأة خدّاً الى خدّ او فماً على فم ورجال البوليس يمرون بهم ضاحكين . والعادة في ليالي الحرّ ان تغص الساحات العمومية برجال ونساء واولاد ينامون طول الليل على العشب تحت اشجار تلك الساحات ولا يبقى على العشب والمقاعد موضع قدم فارغاً . فربما نام الخليل وخليلته هناك متعانقين حتى الصباح . واغرب من هذا ما رأيته يوماً في شارع غرنويش في الساعة التاسعة مساء فقد كان ثلاثة شبان سائرين نحو الحديقة « باتري بلاس » التي على شاطىء الميناء واذا بفتاتين سن الواحدة منها ١٨ سنة او ٢٠

قادمتين من تلك الحديقة وهما من بنات العيلات لا من بنات الهوى · فلما وصلت الفتاتان الى الفتيان الثلاثة انفردت احداهما ودنت منهم واظهرت انها لا تراهم في طريقها ثم دفعت بكتفها احدهم في صدره كما يفعل « الجدعان » بعضهم ببعض للمزاح والمطايبة · فالتفت الشاب المدفوع فرآها تلتفت اليه وتضحك فعاد اليها وعادت اليه واخذا في السلام والكلام

فالرجل الغريب يظن ان جميع من تقدَّم ذكرهم اميركيون وان هذه العادات مباحة عند الاميركيين فيتساهل ويتسامح بشأنها · والحال ان ٩٥ في المائة منهم غرباء مهاجرون وهم من اضعف الطبقات في بلادهم · فنحب للسوريين المهاجرين ان لا يتركوا عادات سيئة كهذه العادات تؤثر على اخلاقهم بحجة انها عادات اميركية مباح العمل بها والجري عليها

البورصة في الحانة

يمكنك وانت جالس في الحانة (١) في نيويورك ان تطلع على جميع اخبار البورصات في العالم · ذلك لان في زاوية في كل حانة اوقهوة كبرى صندوقاً صغيراً من زجاج ضمنه آلة تلغرافية كآلات التلغراف الاعتيادية وقصاصة ورق التلغراف تخرج منها بالتدريج وعليها اخبار آخر ساعة عن اسعار الاوراق والشركات المالية في جميع البورصات فتأمل

مناظرة في التفاضل والمساواه

ردّ لجناب شبل افندي نصيف دموس

تحت هذا العنوان نشرت الجامعة في عددها الثالث وما تلاه مقالات لاحد كتاب مصر الافاضل الذين نعرفهم بشهرتهم فقط وهو نقولا افندي حداد · قرأتها فرايت كاتبها يرى التفاضل امرًا ضروريًا وواجبًا وهذا راي نخالفه فيه على خط مستقيم وربما كان السبب وجودنا في ارض الحرية والمساواة حيثما جرت مبادئها في عروقنا مع الدم وامتزجت بارواحنا امتزاج الماء بالماء

وقد قسم صاحب المقالات موضوعه الى اربعة اجزاء هي التفاضل الشرعي فالدستوري

(١) « الصالون » هنا و « البار » في مصر

فالاقتصادي فالاجتماعي وتكلم عن الثلاثة الاول فاشبع غير اننا اما لتصلب في قلوبنا لم نقتنع او لاننا نرى الامور بغير ما يراها حضرة الكاتب . وكيف كانت الحال فنحن نرى المساواة في الحقوق والواجبات الشرعية والدستورية امراً مقدساً واجب الاعتبار والتنفيذ لاننا نعلم ان كل انسان مخلوق تحت نظام طبيعي واحد نعني من ذكر وانثى تحت ظروف طبيعية واحدة وان كل انسان يعيش متغذياً من محصولات هذه الارض الواحدة في محيط من هواء واحد تحت شمس واحدة ومتى مات يزج جسمه تحت اديم ارض واحدة وان له نفساً معطاة من خالق واحد وهي باعتبار كل اديان العالم خالدة ولها ثواب وعقاب واحد ونعلم ايضاً ان كل انسان يشعر باللذة الواحدة والالم الواحد نفسانياً وجسدياً ولذلك نرى ان لا مزية لواحد على الاخر البتة . وما هو الواجب على الانسان الواحد واجب على كل انسان آخر وما هو حق الواحد هو ايضاً حق الآخر . وبكلمة اخرى اننا نرى بموجب هذه الاوليات ان تكون الحقوق واحدة والواجبات واحدة ايضاً ومتى توحدت الحقوق والواجبات وجبت المساواة ومنع جواز التفاضل بتاً . ومتى وجدت المساواة الحقيقية في امة من امم الله عظم شان تلك الامة وشاهدنا على هذا هذه البلاد العظيمة التي بلغت بحكمة الذين وضعوا دستورها الآمر بالمساواة وسنوا شرائعها الاولية الى درجة من العمران والمنعة ليست لغيرها من بلاد الله . فهي لم تصل الى ما وصلت اليه الا لان المساواة السياسية التي يتولد عنها المساواة في الشرع والاقتصاد والاجتماع كانت ولم تزل اساساً لكل نظام وقانون سرى اهلها عليها منذ بدء تاريخها حتى الان

وربما كان حضرة صاحب المقالة الفاضل يرى رأينا في الامر ولكنه يظن ان المساواة اسم بلا مسمى بدليل ما اورده من الشواهد التي لا نستطيع ان نفسرها الا بغير المعنى الذي يقصده لاننا في اميركا نرى المساواة والتفاضل بغير ما يراه اخواننا في مصر وسوريا كما سيجيء

اما التساوي في الشريعة فهذا واجب دينياً وطبيعياً واجب دينياً لان كل انسان مخلوق على نفس النظام الواحد وله العقاب والثواب الواحد كما ذكرنا سابقاً وواجب طبيعياً لان الطبيعة تقضي ببقاء الجنس قضاء لا يرد وهذا لا يتم الا بالتكافوء والتعاضد منعاً للانقراض وهذان لا يكونان الا بالمحافظة على القانون وتنفيذه في الذين وضع من اجلهم . والمحافظة على القانون وتنفيذه لا يتمان الا برضاء الكل عنه والرضاء لا يكون الا متى كانت الحقوق مرعية ومصانة فان ميزت الشريعة بين انسان وآخر قضي على الصغير ان يبتلعه الكبير حتى تصبح الخليقة كلها في جوف رجل واحد وهذا الاخير في جوف اسد او وحش مفترس .

وقد ذكر حضرة صاحب المقالة حادثة جرت له في مصر مع بائع شمام يراجعها القارىء في الجزء الرابع من الجامعة بنى عليها حضرته الحكم في وجوب التفاضل صيانة لابن الادب من بائع الشمام وهي حادثة لا يجوز بموجبها حكم فقد رأينا مرأى العين حوادث كثيرة تخالف تلك الحادثة . منها ان واحداً من ابناء البيوتات الكبيرة في سوريا رام ان يشتري بطيخة من بائع خضرة فقير الحال فاتاه مساوماً ثم تم البيع على بطيخة وبعد قطعها وجدت « قرعاء » تافهة فرام ردها وابى الدفع فكلمه الفقير بالحسنى فازداد الشريف كبراً وتيهاً فقال الفقير . اتتقاوى على فقير مثلي . ثم رفس صاحبنا طبقه وعليه تين فاندلق على الارض وتقدم فلطم الفقير على وجهه فذهب هذا الى الحاكم فقابله هذا بالشتم فما قول حداد افندي بالقانون الذي اضاع حق ذلك الفقير . ثم نحن لا نشك في ان بائع الشمام كان لئيماً ولكن العدالة عمياء فهي لم ترَ ما جرى ولكنها تسمع وتحكم بالقسط لدى ورود الادلة ولكنها لا تسمع بالتلفون نعني يجب ان يقف امامها الخصمان وانا لا نرى غضاضة من وقوف كل ذي نفس حية امامها . وليس من الحيف ان يحاكم رجل مع رجل آخر

اما التساوي في الدستور فهو ضروري ايضاً لا بل واجب صيانة لمصلحة الافراد في سن الشريعة العادلة المساوية بينهم ومصلحة الافراد كما لا يخفى هي مصلحة الامة لان هذه تتألف من اولئك . وواجب ايضاً لاجل صيانة الشريعة من النقض بالثورات الدموية التي تهلك الامة وتضعفها بازاء نفسها وبازاء باقي الامم الاخرى . ففي اميركا يقضي الدستور بانتخاب مشترعين من افراد الامة لسن نظامات توافق احوالها وهم منتخبون من جميع افراد الشعب بدون تمييز فكل ذكر وطني بالغ الحادية والعشرين من عمره ابيض كان او اسود له صوت واحد فقط لا يتجاوزه والمنتخبون نواب عن المنتخبين يقومون بكل المواعيد التي عاهدوا منتخبيهم على القيام بها . وقد برهن فعلياً هذا الدستور المبني على المساواة بانه خير دستور يحفظ راحة الامة وافرادها وخير كافل لسعادتهم وسعادتها والمنتخَب لا يفضل منتخبه مثقال ذرة ومركزه السيامي ليس سوى منصب يقوم بواجباته فيه ويتقاضى عنه اجرة كالكاتب في المحل التجاري وما شاكله . والامتيازات المعطاة لهم شرعاً من مثل عدم القاء القبض على النائب في الاوقات المعينه للالتئام مع رفاقه ليست الا لقصد صيانة الحكومة من النقض بالمؤامرات والدسائس كما حدث في فرنسا يوم نشأت الامبراطورية الثانية بعد ما زج في السجون انصار الجمهورية من اعضاء مجلس النواب وهي التي يسمونها Coup d'Etat

اما قوله فيما جاء في الكلام عن امتيازات النبلاء عن العامة في بلاد الانكليز وهو

(ولكن اذا انعمنا النظر في سبب هذا الامتياز من جهة وفي نتيجته من جهة اخرى وجدنا ان حقيقته ليست في تكافوء النبيل والعامي في الاهلية والاستحقاق فقط بل في الفائدة التي تنجم عنه وهي حفظ مجد المملكة وصيانتها) فهذا فيه نظر لان حفظ مجد المملكة حقيقة لا يقوم بوجود نبلاء والقاب شرف فيها وهذه الولايات المتحدة وفرنسا اكبر شاهد على صدق قولنا هذا لانها مجيدتان بدون مساعدة هذا الصف من البشر ونحن نعتقد ان وجود مثل هذه الطبقة في مملكة مما لا يصون مجدها بل يخذلها ويضعفها لان الممالك انما تقوم بالشعب الراقي الشبعان الراضي عن شرائع بلاده على حد قول توماس جفرسون في منشور الاستقلال الاميركي (ان الحكومات تستمد قوتها من رضاء المحكومين) وهؤلاء الاشراف حمل ثقيل على كاهل الشعب يأكلون زاده بدون تعب يقاسونه فان جاء يوم وحصلت فيه مجاعة يثور هذا الشعب كما ثار في فرنسا وفي غيرها من قبل ومن بعد وكما هو ثائر الآن في روسيا. يثور على الدستور لانه غير عادل اذ يوجب الامتيازات ويثور على الشريعة لانها غير عادلة اذ تحلل للقليل ما تحرمه على الكثير

اما التفاضل في الاقتصاد فهذا بلا مسوغ البتة انما هو اذا كان موجوداً حقيقة فهو وهم باطل لا يضرّ بمصالح الافراد ولا ينفع ومع ذلك فاذا كان من فضل في ايجاد الثروة فالفقير موجدها لانه هو العامل في مناكب الارض وفي المعامل وفي بناء القصور وبناء المراكب الخ . اما قوله في انصراف الاغنياء الى مجتمعات خاصة دون الفقراء فهذا لا يبرهن تفاضلاً البتة اذ ان لهؤلاء مجتمعات يجوز لهم فيها ما يجوز لاولئك في اجتماعاتهم وركوب القطارات في الدرجة الاولى لا يبرهن افضلية صاحبه على راكب الدرجة الثالثة لان هذا المقعد يشرى بمال وكلما يشرى بمال يكون مشاعاً للجميع على السواء ويبطل حينئذٍ التفاضل حتى اذا حرم شرعا على قوم وحلل لآخرين فهناك يجوز القول حينئذٍ بوجود التفاضل ويكون ثمة نقص في الشريعة تأباه نفوس الامم الحرّة ويكون بسببه ثورة عظيمة في ارض الشعوب الغير خاملة

اما قوله عن الولايات المتحدة ان كثيرين من اهلها يتطاولون الى نيل الالقاب وان الغنيات يطلبن الزواج بنبلاء اوروباء لنيل الشرف وهلم جراً فهذا لا يبرهن وجود التفاضل الاجتماعي والاقتصادي ولا وجوبها لان هولاء الكثيرين قليلون جداً بالنسبة لعدد السكان وعلى القليل النادر لا يبنى حكم وما هؤلاء القلائل الذين يطلبون الامتيازات الموروثة التي جاءت اصحابها من طريق الصدفة الا قوم في نفوسهم بقية من همجية الاجيال

الماضية متغلبة في طبائعهم فهم يطلبون في بلاد اجنبية ما تمنعه بلادهم وشرائعها العادلة الآمرة بالمساواة . والقابهم التي يحصلونها لا تغير من مراكزهم مثقال ذرة فهم تحت القانون مساوون لبقية الناس فان لطمت الغنية الشريفة خادمتها الفقيرة كان جزاءها السجن او غرامة التعويض المالية وان شمخت بانفها في الهواء فانما هي تشمخ في الهواء كما يخور الثور ليس الا

اما ما يقدمه الفقير من التزلف الى الغني فهذا لا يبرهن حق الواحد على الاخر ولا افضليته اذ مرجع الامر الى واحد هو نيل غرض يوازي لدن صاحبه مقدار ذلك التزلف وخلاصة القول ان لا تفاضل الا متى وجدت امتيازات شرعية مختصة باناس محرمة على اخرين وهذا التفاضل قضي على بعضه في البلاد المتمدنة بعد ثورة انكلترا ثم قضي على بقيته بعد ثورة فرنسا حتى ان العبد الاسود الذي ولد في العبودية منذ عهد لا يعرف قدميته الا الله قد تحرر الان وصار له جميع حقوق سيده بالامس فهو يولي الحكام مراكزهم وهو بعبارة اخرى يامر بما ياتمر و يطيع ما يفرض

اما تفاضل اهل العلم على اهل الجهل فهذا يكون بالنسبة الى ما تستفيد منه الاكثرية من عمل الفرد غير ان هذا التفاضل لا يتجاوز حد كلمات المديح فقط لانه لا يجوز للعالم اكثر مما يجوز للجاهل من التمتع بالسعادة والراحة ولا يستطيع ذاك ان يستعبد هذا اذ كلاهما امام القانون في المركز الواحد انما هذا يمدح وهذا يهمل امره او يذم بالنظر لاهمية النفع او الضرر الذي يصدر من كل منهما وهذان المدح والذم هما ثمن الفائدة او المضرة التي تلحق بهم

اما تفاضل امة على اخرى كتفاضل الانكليز على ابناء مصر فهذا موجود ولكنه ليس شرعياً ولا دستورياً ولا هو واجب دينياً ومدنياً انما هو تفاضل القوة الحيوانية التي ليست على الانسانية منه شيء . وفي حادثة دنشواي حيف وجور فقد حدث في مدينة نيواورليانس ما يعاكسها تماماً وذلك ان بعض الايطاليان قتلوا رئيس البوليس فقبضت الحكومة على الجانين واودعتهم السجن على امل محاكمتهم ولكن الشعب الاميركي ثار على الفور فدخل السجن عنوة واخرج السجناء واماتهم بالرصاص ولو أمكنت حكومة ايطاليا من قاتلي ابنائها في اميركا لكانت فعلت فعل انكلترا واذ عز عليها الانتقام انهت المسالة سياسياً واخذت تعويضاً مالياً . اما انكلترا حاكمة مصر فقد فعلت فعل القوي ومصر ضعيفة بازائها . واما ذل ابناء مصر للمحتلين فهذا الذل لا يطول امره لان وراءه امراً سيدوس هذا التفاضل تحت

قدميه فان لم يكن اليوم او غداً فسيكون في الذي يليهما سعياً وراء المساواة التي هي حق كل مخلوق موروث من الله خالقه

مهاجر سوري في اميركا

يدعو المهاجرين الى الزراعة

والجامعة تعضد دعوته

حضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة الغراء

ما كان ابطائي في الجواب على اسئلة الجامعة بشأن دعوة المهاجرين الى الزراعة في اميركا المنشور في الجزء السابع الاَّ لانتظاري ريثما ارى هل احد من المهاجرين يعترض على هذه الدعوة . ولما لم ارَ في الجزء الثامن اعتراضاً جئت بسرور للمجاوبة على تلك الاسئلة . واملي ان تستطيع الجامعة شيئاً فشيئاً توجيه انظار المهاجرين الى هذه الصناعة الشريفة الرابحة في هذه البلاد

السؤال الاول — ما هو الراسمال اللازم لاصلاح وزراعة المائة وستون اكراً (١)

(والجواب ان الزراعة هي كالتجارة فيمكن للتاجر ان يتعاطى تجارة ما براسمال صغير حتى الماية ريال كما انه يقدر ان يتاجر بالوف ريالات ولكن كلما زاد الراسمال ووُجد رجال ذو حزم وعزم تزداد الارباح . وهكذا الفلاح هنا فانه يقدر ان يباشر العمل براسمال صغير حتى مائتي وخمسين ريالاً فبهذه القيمة يشتري زوج خيل او بغال وآلات الزراعة كويقن (عرَبة) (Wagon) وسكة حديدية نقالة ويبتدئ بفلاحة ارضه . ويلزمه بعض آلات احياناً يستعيرها من الجيران الى ان يُنتج من عرق جبينه ثمنها ويكبر اشغاله شيئاً فشيئاً . على ان الفلاح القادر اذا اتقن الفلاحة وكان عنده اربعة من جياد الخيول وسكة وجميع آلات الفلاحة فتكون ارباحه مضاعفة

السؤال الثاني — هل يستطيع الزارع الذي لا يكون بيده راسمال ان يستقرض المال

---

(١) راجع باب الرسائل في الجزء السابع

على الارض ام على تعب يديه فيها من اناس قريبين منها . فالجواب هنا (مزدوج) . اولاً انه لا يقدر ان يستقرض على الارض التي اعطته اياها الحكومة ولا له حق التصرف بها الاّ بعد مدة خمس سنوات كما تقدم . ولكنه يقدر ان يحوّلها لاحد غيره باتفاق من الفريقين بثمن معلوم . والذي تتحوّل باسمه ثانياً تبتدىء مدته من حين تسلمه لها . لهذا لا يقدر الانسان ان يستقرض على الارض . و يوجد طريقة اخرى وهو اذا احب الانسان ان لا يبقى في الارض مدة خمس سنوات فيمكنه ان يسكن فيها اربعة عشر شهراً و يشتغل بها بتلك المدة ثم يدفع للحكومة ريالاً وربعاً ثمناً لكل اكر فتصبح له ملكاً . كالذي يقيم فيها خمس سنوات

اما الاستقراض على تعب اليدين فاذا كان مستقبل المزروعات والارض جيداً فالفلاح يقدر ان يستقرض من التجار او من البنك برهن المزروعات . ومتى صار للزارع معاملة مع التجار او الصيارفة فيقدر على سد عوزه دون رهن . وليس للنصابين والمحتالين خبز بهذه الانحاء

السؤال الثالث — هل الامن سائد في هذه الجهات . والجواب نعم فانه اينما سار الانسان في الولايات المتحدة تحت راية النجوم الزاهرة فالامن سائد . واقدر ان اقول انني اخشى على نفسي من المرور نهاراً بشارع واشنطن في نيويورك في بعض الايام ولا اخشى المسير ليلاً في هذه الانحاء حتى بدون رفيق

السؤال الرابع — اذا اراد الزارع ان يأخذ لنفسه اكثر من ١٦٠ اكراً هل يؤذن له بذلك . والجواب كلاّ لا يقدر الاّ اذا اتفق مع شريك واخذ كل واحد لنفسه ١٦٠ اكراً انما يؤذن له بان يشتري بقدر ما اراد من الاراضي المسجلة باسم اصحابها بعد اقامتهم بها خمس سنوات . ويلزمه اولاً ان يتجنس بالجنسية اميركية ويكون سنه فوق ٢١ سنة والنساء كذلك . فالرجل وزوجته والاخ واخته كل منهما يقدر ان يأخذ ١٦٠ اكراً

السؤال الخامس — هل من ضريبة للحكومة على الاراضي . الجواب نعم انما هي قليلة جداً وهي تدفع سنوياً . فيأتي المخمن ويخمن الموجودات التي على الارض مثل بيوت ومواش واثاث وبقيدها بربع قيمتها الاصلية ثم يفرض عليها ضريبة في المائة ٣ ونصف فالضريبة اذاً هي على الموجودات لا على الارض اذ لا تأخذ الحكومة ضريبة عنها الاّ بعد خمس سنوات

السؤال السادس — بكم تُقدر نفقة الشخص الواحد في السنة بقطع النظر عن نفقة الارض . فالجواب على سؤالكم هذا يتوقف على ذات الشخص . والاشياء هنا لا تفرق

اسعارها عن نيويورك الا قليلاً

السؤال السابع ـ هل يمكن لمحترف الزراعة ان يحترف حرفة اخرى . والجواب نعم يمكنه ذلك فانه يقدر ان يشتغل باي شغل اراده فيمكنه ان يسكن البلدان المجاورة و يذهب الى ارضه ولو اسبوعاً كل ستة اشهر وبهذه المدة يلزمه ان يشتغل بالارض كي لا تضيع الارض منه وكثيرون هنا ممن لهم اراضٍ وحرفتهم الزراعة ينتهزون الفرصة للتجول وبيع البضائع و بعضهم لهم محلات تجارية

واني كي ازيدكم ايضاحاً اقول : ان اكثر الاراضي في هذه الجهات تسوى قيمتها من ١٥ الى ٣٠ ريالاً الاكر الواحد ولا يقدر الانسان ان يأخذ ارضاً كما اخذناها نحن انما توجد الان اراضٍ في تكساس west Texes على حدود هذه الولايات Oklahoma تُباع باسعار ز زهيدة جداً وذلك بسعر ٥ الى ١٠ ريالات الاكر والحكومة تسجلها لمن يرغب الاتجار بها . ويمكن للانسان ان يشتري من ١٠ الى ١٠٠٠ اكر وهذه الاراضي ستصبح بعد مدة قريبة عامرة كهذه الانحاء وفي طي كتابي قصاصة من جريدة اميركانية تعلن عن مبيع اراضٍ في الجهات العامرة بتكساس بسعر ٢٥ ريالاً الاكر . لكن في نيو مكسكو New Mexico اراضٍ تعطى للاهالي مجاناً الى خمس سنوات مثلما اخذناها نحن هنا . وهي ارض خصبة جداً

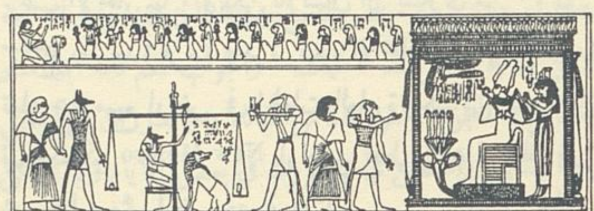
شاكر سالم الخوري

ضيق صفحات المجلة لصدورها مرتين في الشهر أشرنا في صفحة اخرى في هذا الجزء الى ضيق صفحات المجلة عن جميع موادها وابوابها بسبب قسمتها الى جزئين وصدور كل جزءٍ في ١٥ يوماً . واقرب مثال لذلك ان هذا الجزء الذي صدر في نحو ٥٠ صفحة قد صدر بنقصه (درس في المدنية الاميركية) و (تتمة رواية قان) وباب الرسائل والمسائل وتقريظ عدة كتب و باب الاخبار العلمية وباب تدبير الصحة والمنزل وتذكارات مصر والشام. وباب الديموقراطية واخبارها الذي لم نتمكن بعد من فتحه . فضلاً عن قصيدتين واحدة لنقولا افندي حداد في (تأثير المهاجرة على العقول القاصرة) . وواحدة لامين افندي ظاهر خيرالله في رواية ابن الشعب . ولكن لو كانت المجلة تصدر مرة في الشهر لامكن التوسع في ابوابها لاتساع نطاقها واستيفاء جميع موادها ونشر الرسوم الكثيرة فيها . وهذا ما عزمنا على الشروع فيه كما ذكرنا في مكان آخر . فتكون الجامعة كل شهر كتاباً كبيراً جامعاً لاشتات الفوائد الناضجة بالدرس والروية مستوفية جميع ابوابها وموادها ومتسعة للرسوم الجميلة العديدة

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

دينونة المصريين * الراحة في مصر

﴿ دينونة قدماء المصريين ﴾ وُجد هذا الرسم منقوشاً على هيا كل المصريين القدماء . وهو يمثل طريقة الدينونة بعد الموت عندهم . فاذا توفي الرجل قُبضت نفسه الى سماء (اوزيريس) الاله الاعظم ويقدمه اليه الاله انوبيس والالاهة (مايت) الاهة الحقيقة. واوزيرس جالس على عرشه كما ترى في الرسم وحوله ٤٢ الهاً من مساعديه . فيأخذ الاله انوبيس قلب الميت ويضعه في كفة ميزان الدينونة وتضع الالاهة (مايت) في الكفة الثانية الريشة التي هي شعارها. ثم يأخذ الميت في القاء خطبة صغيرة يُنكر فيها انه ارتكب ذنباً من الذنوب التي تسوء الالهة . فاذا كانت كفة القلب اخف من كفة الريشة أُدخل الميت الى عالم اوزيريس حيث يتمتع بالسعادة واذا كانت اثقل نُبذ من عالم السعادة . والاله توت هو الذي يُبلغ نتيجة هذا الوزن الى الاله اوزيريس كما ترى في الرسم



﴿ دينونة النفس عند قدماء المصريين ﴾

بوضع قلب الانسان في ميزان الدينونة امام الالهة المصطفة فاذا كان خفيفاً قُبل في سماء السعادة والا نُبذ منها

﴿ الراحة في مصر ﴾ هو اسم يُطلقه المصورون على رسم ليسوع والعذراء ويوسف في مصر بعد فرارهم من فلسطين اليها كما جاء في الانجيل . على ان المؤرخين يقولون ان يوسف والعذراء لم يسافرا قط بيسوع الى مصر . وفي مصر تقليد انهم استراحوا تحت شجرة في المطرية والناس لا يزالون يتبركون بهذه الشجرة حتى اليوم . على ان هذه الشجرة قد

تحطم بعضها في الشهرين الماضيين لهبوب زوبعة شديدة عليها . والرسم المنشور هنا يمثل يوسف والعذراء والطفل يسوع يستريحون بعد مشقة السفر . والملائكة هبطت لملاعبة الطفل وتقديم الازهار اليه . وهو رسم للرسام دومي موجود الآن في متحف بيتي في فلورنسا



﴿ العذراء والطفل يسوع ويوسف في مصر ﴾

يستريحون من مشقة السفر بعد هربهم من فلسطين من وجه هيرودس

باب التقريظ والانتقاد

الشعراء والاحتلال المصري

﴿ قصيدتان بشأن مصر ﴾ الاولى لحافظ افندي ابرهيم الشاعر المشهور ونشرتها جريدة المؤيد الغراء . وقد نظمها استقبالاً لجناب اللورد كرومر حين عودته الى مصر في هذا العام يُعرب له فيها عن عواطف فريق من المصريين المعتدلين بعد حادثة دنشواي . ومن دررها التي هي كدراري السماء تألقاً وسموّاً قوله يخاطب قصر الدوبارة مقام اللورد في مصر

اهلاً بساكنك الكريم ومرحباً بعد التحية انني اتعتب

وقوله ان ارهقوا صيادكم فلعلهم للقوت لا للمسلمين تعصبوا

ولعل هذا البيت ابلغ ابيات القصيدة . راجع ما كتبناه في هذا الشأن في الجزء الخامس الصفحة ١٩٠ وقوله عن المستشار القضائي في اثناء الحادثة

يختال في انحائها متبسماً والدمع حول ركابه يتصبب

ثم القى تبعة الحادثة على المستشارين (وبذلك وضع جناب اللورد فوق الاحزاب) تخلصاً الى استعتابه كأنَّ حضرات المستشارين يأتمرون بغير امره

كُنْ كيفَ شئتَ ولا تكِلْ ارواحنا للمستشار فانَّ عدلك اخصبُ

وافضْ على بوند اذا ولي القضا رفقاً يهش له القضاء ويطربُ

قد كان حولك من رجالك نخبة ساسوا الامور فدرَّبوا وتدرَّبوا

اقصيتهم عنا وجئتَ بفتيةٍ طاشَ الشباب بهم وطارَ المنصبُ

ثم رمى قلب مصر بسهمين لم يرمها بمثلها احد قبل الآن . ولكن للابن (خصوصاً اذا كان كحافظ) دالة على الام وهو معذور في تهييبه الغريب . والكنانة اسم لمصر

واذا سُئلتَ عن (الكنانة) قل لهم هي امةٌ تلهو وشعبٌ يلعبُ

فاستبقِ غفلتها ونم عنها تنم فالناس امثال الحوادث قُلّبُ

وقد سمى رصيفنا المؤيد هذه القصيدة (قصيدة القرن العشرين) ونحن نستحسنها اشد استحسان ولا غبار عليها عندنا سوى قول بعضهم ان الشاعر (قد اكثر فيها من تقبيل اليد التي تقيد وطنه بالسلاسل)

اما القصيدة الثانية فهي لاحمد افندي كاشف شاعر القرشية في مصر . وهي دون قصيدة حافظ قوة وجمالاً الاّ ان فيها صرخة عالية في حق مصر كأنما خرجت من اعماق نفس متألمة . وقد ذكَّرتنا هذه الصرخة بصرخات فيكتور هيغو من منفاه يهزّ بها عرش نابوليون الثالث يوم استبدَّ بالجمهورية . ولم تنشر جرائد مصر هذه القصيدة لتطرّفها فطبعها ناظمها على حدة وبعث الى الجامعة بنسخة منها . فرأينا ان نشير الى اهم ابياتها لكي لا يُحرَم جزاء تعبه فيها وان كانت تحتوي على ابيات هو والجامعة فيها على طرفي نقيض ونستغرب صدورها عن اديب مطلع مثله . وهذه الابيات ضربنا صفحاً عنها

قال يستقبل الجناب الخديوي كما استقبل حافظ جناب اللورد . وكان الجناب العالي عائداً من الاستانة وفيه اشارة الى مرض جلالة السلطان .

هل بعد ما حادثته وشهدته جذلان يحسبه العداة عليلا

لا نعلم لماذا يُعدُّ الانسان عدوًّا اذا قال ان جلالة السلطان مريض

هبه مريضاً كان اياماً اما كان اللقاء على الشفاء دليلا

صِفْ للرعية كيف مكّن عرشه في المشرقين وشيّد الاسطولا

ومن قوله يذكر ما قالته انكلترا من انها تدافع عن حقوق الخديوي في حادثة طابه . واشار بعد ذلك اشارة جميلة الى اصلاح الجناب الخديوي بين الفريقين

قالوا استعان بنا على سلطانه من ان يمدّ يدا اليه طولى

هل تستغيث بضيفك المملول من اهليك والمولى الاعز قبيلا

اصلحت بين الحوت يخطر مائجاً والليث دون الغيل يحمي الغيلا

ابقيت هذا في اليباب مرابطاً ورددت هذا في العباب جفولا . . .

ومن قوله حملته الشديدة على جناب هلباوي بك المحامي في قضية دنشواي . والغلو في مثل هذا المقام من ملازمات الاحزاب

واشدّ ما انتقموا به هذا الذي تخذ الرياء من الوفاء بديلا

هل كان يعوزهم سلاح فابتغى بلسانه لسلاحهم تكميلا

باع المواثق والعهود بشر ما اسـ ـتبقى به المشروب والمأكولا

فكأنه لم يُبغِنا يوماً بهم الا ليغريهم بنا وُبنيلا

ثم حمل على جناب اللورد كرومر حملة كهذه ولكن دون ان يجرأ على تسميته

ما بال « وهاب الامان » كما ادعى امسى يرى في كل فج غولا

واذا ازاغ الله باصرة امرئ ليخيفه ظنّ الذبابة فيلا

هل ملّ مصرفنا اليه ام رأى معروفنا عبئاً عليه ثقيلا

ام شاقه ما تصنع الابطال في قبض النفوس فكان عزرائيلا

كلمة (معروفنا) في البيت الثالث نظن انه لا محل لها من الاعراب

ثم قال يخاطب الجناب الخديوي مشيراً الى الحكم في قضية دنشواي

لو لم يصوغوا الحكم باسمك لم نجد صبراً على هذي الخطوب جميلا

الله ادبنا باكبر خلقه فعلاً وانفذ في البرية قيلا

كثر النضار ولا نصيب لنا وان اضحى على اعناقنا محمولا

في البيت الثاني تصريح جميل بنتيجة خمول الشرقيين واحقية العقاب على هذا الخمول .

وفي البيت الثالث اشارة الى خصب مصر وتمتع الاجانب بهذا الخصب . ثم قال في الخاتمة ابيات ابيات في التأني وتربية الجيل المصري الحاضر ومعرفة مصر جميل الاحتلال بعد زواله واجتناب هذا الجلاء بثورة . والخطاب للجناب الخديوي

كلهم الى الدهر القدير فانه ما زال عنك بما تريد كفيلا
واذا هممتَ بنا الى غاياتنا فالحزم ان لا نطلب التعجيلا
ومن المحال نجاتنا ان لم نكن ارقى نفوساً منهم وعقولا
ولقد تطلعنا اليها شمخاً فارفع على الاجيال هذا الجيلا
هي غاية الآمال شتى سبلها طوبى لمن تخذ السلام سبيلا
يا حسنهم اذ يجلون ولا نرى الاّ الوداد اليهم موصولا
ان يذكروا اذعاننا نذكر لهم درساً تلقته البلاد جليلا
فليخرجوا شم الانوف ويتركوا ما شيَّدوه معالماً وطلولا
واذا اشترينا بالدم استقلالنا هاجرتُ كي لا اشهدن قتيلا
ضيق السجون ولا تملق خائن لا يحسن التأويل والتعليلا

وقد نشرنا هنا خلاصة هاتين القصيدتين للدلالة على حالة النفوس في مصر من الوجه السياسي . وهما عبارة عن تاريخ تلك النفوس في برهة مرّت ولعلها لا تتجدد . ونودّ من كل قلبنا ان يكون تعيين حضرة القاضي الحازم والعالم العاقل سعادتلو سعد بك زغلول وزيراً للمعارف في مصر وعناية اخواننا المصريين بانشاء المدرسة الكبرى التي دعوها (الجامعة المصرية) (١) بدء نشأة جيل جديد في مصر وميل جديد في سياسة الاحتلال الى الرفق واللين وزيادة التوفيق بين الحاكمين والمحكومين

﴿ صدور الكوخ الهندي ﴾ صدرت رواية الكوخ الهندي مطبوعة اجمل طبع ومزينة برسوم عديدة وتُطلب من ادارة الجامعة وثمنها نصف ريال

---

(١) اتفقت اللجنة التي شرعت في مصر في انشاء (الكلية) وجمع المال لها على تسميتها (الجامعة المصرية) وهو اسم يسرّ مجلة الجامعة لمشاركتها لها فيه . اما العرب فكانوا يسمون امثال هذه المشروعات الجليلة باسم آخر . فكانوا يقولون دار العلوم مثلاً . ومنها (دار الصناعة) التي كانت مشهورة في الاندلس



صدورها يومية

(بشرى لقراء الجامعة في اميركا والخارج)

(١) ستصدر الجامعة سياسية اخبارية تجارية « كل يوم »

(٢) وستستمر على صدورها علمية اجتماعية « كل شهر »

قلنا في جزئين سابقين ان قراءَ الجامعة سيسمعون عنها في زمن قريب اخباراً تسرّهم. والآن نخبرهم مرادنا بهذا القول

﴿ سبب بقاءِ الجامعة في اميركا ﴾ قلنا في المنشور الذي وزعناه من مصران الذي اقنعنا بنقل الجامعة من مصر الى نيويورك امران . الاول الرغبة في مشاهدة اميركا والمعيشة حيناً من الدهر في وسط مدنيتها العظيمة . والثاني الرغبة في ضم عمل تجاري في اميركا الى عمل صحافي . ولما قدمنا الى اميركا واصدرنا الجامعة فيها رأينا الصعوبة الكبرى في الاشتغال بالتجارة والجامعة معاً لانه على ما جاءَ في الامثال (لا تُمسك بطيختان في يد واحدة) ولذلك عدلنا عن الاشتغال بالتجارة وانصرفنا الى الجامعة وحدها . وهذا العدول عن التجارة ابطل احد السببين اللذَين اقنعانا بالانتقال من مصر الى اميركا . بل أبطل السببين معاً لانّ مشاهدة اميركا ودرس احوالها لا يقتضيان اكثر من شهر او شهرين . فكان في امكاننا الاقامة هنا ثلاثة اشهر فقط ثم العودة بعدها الى مصر . لان القراء الذين يقرأون الجامعة هم هم سواء صدرت في اميركا او في مصر . ومهما زاد عدد قرائها الكرام في الولايات

المتحدة فان زيادتهم لا تعدل عند منشئها مشقة الانتقال وخسائره

فبقي انه كان لنا غرض في بقائنا في اميركا . ولولا هذا الغرَض لما بقيتْ الجامعة فيها . وهذا الغرَض هو خدمة الجامعة والمهاجرين بجريدة يومية كبرى على نسق جرائد مصر اليومية الكبرى . وهذا اوان الشروع في هذا المشروع الكبير الذي يسرّ ولا شك اخواننا المهاجرين في جميع الاقطار الاميركية

﴿ الجامعة اليومية ﴾ سيكون اسم الجريدة اليومية التي عزمنا على انشائها (الجامعة اليومية) او (جريدة الجامعة اليومية) وهي تصدر كل يوم بين الظهر والساعة الواحدة بعده وعدد صفحاتها ثماني صفحات كبرى طافحة بالمقالات والابواب والاخبار السياسيَّة والادبيَّة والتجاريَّة والصحيَّة

﴿ الجامعة الشهرية ﴾ ومما لا بد من الاشارة اليه ان صدور الجامعة يوميَّة لا يؤَثر اقل تأثير على (مجلة الجامعة) بل سيكون انفع لها وادعى الى زيادة نشرها . ولكن عزمنا منذ اليوم على ادخال تغيير صغير فيها . فاننا كثيرًا ما شكونا وشكى قراؤُها معنا من ضيق حجم المجلة بعد اصدارها مرتين كل شهر ولذلك لم تكن صفحاتها تسع جميع ابوابها وكنا نضطر احيانًا الى الاختصار في مقالاتها وابوابها ورسومها . ولكنها لو صدرت كل شهر مرة لكان حجمها اوسع كثيرًا وامكن ان نضمّنها الابحاث الطويلة . وهي كانت تصدر في مصر مرة في الشهر ايضًا فاذا اعدناها الآن الى الصدور مرة في الشهر فانما نعيدها الى اصلها . ولذلك سنجعل صدورها مرة في الشهر ونزيد في تحسينها زيادة تجعل قراءَها في غاية الرضى عنها كما سيرون ذلك في اول جزء منها يصدر شهريًا . وستبقى اشغالها ومراسلاتها واشتراكاتها منفصلة عن اشغال الجامعة اليومية ومراسلاتها واشتراكاتها

﴿تحريرها﴾ ورغبة في جعل مواد الجامعة اليومية وفوائدها من الطراز الاول بين الجرائد العربية في مصر وغير مصر فقد جعلنا التحرير فيها مشتركاً بين اربعة كتاب. فقد اتفقت الجريدة مع جناب الكاتب الفاضل والشاعر المجيد نقولا افندي حداد المشهورة آثاره الادبية بين كتاب مصر والشام على ان يتولى تحرير الجريدة بمساعدة محرر معه. وعدا ذلك يحرر في الجريدة كل يوم صاحب مجلة الجامعة. وتتولى صاحبة مجلة السيدات المدموازل روزا انطون القادمة الى نيويورك في هذا الشهر المباحث العائلية والنسائية في الجريدة. هذا عدا عن مقالات صحية يكتبها للجريدة حيناً بعد حين احد الاطباء الافاضل

﴿مراسلاتها﴾ وما عدا هذا فقد عينت الجريدة مراسلاً لها في مصر يوافيها باخبار مصر السياسية والادبية في مقالات غاية في الطلاوة والفائدة. وعينت في سوريا ولبنان عدة مراسلين سيبعثون اليها باخبار سوريا ولبنان بتفصيل وافٍ وشرحٍ كافٍ فلا يفوت القارىء شيء من اخبارها الكبيرة والصغيرة. ولها فضلاً عما تقدم مراسلون ووكلاء في جميع الجهات التي تصل اليها الجامعة كتونس والجزائر ومراكش والهند والقوقاز وروسيا على الخصوص. وسيكون لها مراسل خصوصي في الاستانة يوافيها بالاخبار التي تنشرها جرائدها والتي لا تنشرها

﴿لاميركا الشمالية والجنوبية﴾ وستكون الجامعة جريدة يومية ليس فقط لاميركا الشمالية بل ستكون ايضاً جريدة يومية لاميركا الجنوبية. ففي البرازيل وكولوميا والارجنتين وفنزويلا وغيرها لمجلة الجامعة مئات من القراء والمحبين سيبذلون عنايتهم للجامعة اليومية كما بذلوها للمجلة. ولا شك عندنا في ان الاقبال عندهم على الجامعة اليومية سيكون كاقبالهم على الجامعة الشهرية لان مبادىء الجامعة اليومية وخطتها واسلوبها في الكتابة والسياسة مبنية على مبادىء مجلة الجامعة واسلوبها وخطتها التي اعتادها قراؤها

﴿شركة الجامعة اليومية﴾ وقد ابقينا الى الخاتمة اهم خبر في هذا المشروع الجديد. وهو ان الجامعة اليومية ستنشأ شركة بين صاحب مجلة الجامعة وصديقه رشيد افندي سمعان التاجر في نيويورك شقيق جناب الوجيه العاقل الخواجه انطون سمعان التاجر

المشهور هنا. ولقد عرفتُ الصديق رشيد ثاني يوم وصولي الى نيويورك وقد مرّت اليوم على صداقتنا خمسة اشهر عرفتُ في اثنائها من اخلاقه وحسن تربيته انه سيكون الصديق الموافق والرفيق الصادق في عمل عظيم اذا اقدمنا عليه معاً. وان اول شرط في الشركة بين الشركاء اتفاق الاذواق والاخلاق والاراء. وهذا ما سرني في رفقته وصداقته اكثر من اي امر سواه

هذا ما رأَينا ان نقوله الآن في هذا الاعلان الاول بشأْن الجامعة اليومية. وسيكون ظهورها في خلال شهر كانون الاول (دسمبر). وحين ظهورها سنرسلها الى قراء الجامعة في اميركا الشمالية والجنوبية هدية الى اسبوعين. وبعد انقضاء الاسبوعين على صدورها يرى القارىء رأْيه في الاشتراك او عدم الاشتراك فيها. وانَّ املنا في اقبال جمهور المهاجرين في الاقطار الاميركية على الجامعة اليومية عظيم جداً ليساعدوا في دار هجرتهم على انشاء جريدة كبرى نحب ان نجعلها لهم جامعة لشروط الصحافة الحقيقية من كل وجه

ولا يسعنا قبل الختام الآن نذكر بالخير رصفاءنا اصحاب الجرائد في اميركا الشمالية والجنوبية الذين اكرموا وفادة الجامعة وعاملوها بما في طبائعهم من مكارم الاخلاق. واحب شيء الى الجامعة الشهرية واليومية ان تكونا يداً واحدة مع رصيفاتها الكريمات في الخدمة النافعة وترقية صناعتنا في اميركا ترقية تُكسبها احترام الناس لها. وهي ستبذل جهدها في اجتناب كل ما يسوء احداً منهم. فاننا نحن اصحاب الصحف يجب علينا ان نكون مثالاً لقرائنا في كل ما ندعوهم اليه من سبل الاصلاح والارتقاء. ولذلك تصافح الجامعة اليومية جميع رصفائها في اميركا الشمالية والجنوبية قبل ظهورها مصافحة وداد واخاء. وهي لا تنسى وداد الرصيفات في مصر والشام لها قبل انتقالها الى اميركا وبعده. وانما اول تحيةً لها وهي جنين في ضمير الايام هي الى تلك الرصيفات الكريمات

ولما دخل سنيكا الأب وسنيكا الابن الى بيت مريم كانت مريم مستلقية في فراشها دون وعي وبجانبها حنه . وكان الترجمان اليهودي يتبع الشيخ والشاب مستغرباً جرأتهما على الدخول الى هذا البيت دون ان يخافا كلام الناس . ولكنه قال في نفسه انهما غريبان والغريب لا يبالي بكلام الناس لجهلهم بحقيقة امره فضلاً عن ان ما رآه في اخلاق الشيخ وتأدبه ابعد كل ظن سيء فيه . واذا تكللت قمة الانسان العاقل باكليل الشيب وصفت نفسه من كدورات المادة واصبح على شفا القبر فهو يضع يده في اقذر يد لامرأة فتطهرها بمجرّد مسها لها ولا تتنجس يده منها

اما الشيخ فمذ اشرف على سرير مريم اختلس النظر الى ابنه ليرى تأثير منظر تلك المرأة الجميلة في نفس الشاب . فرأى لوسيوس ينظر الى تلك المرأة الغضة التي كانت كانها على فراشها برج فضة بعينين متقدتين باحثتين . ولكن الاب كان يعلم ان الشاب الذي عاشر سيدات رومه الظريفات الجميلات وشهد بهاء كبيرات الرومانيات وبذخهن ودلالهن لا تروقه بعد ذلك قروية من امة ضعيفة منحطة مهما كانت جميلة . اذ لاتفاق الاذواق والتربية والاخلاق ابلغ تأثير في اتفاق القلوب . ولكن عند القلوب الحامية هذا النظر نظر شيخ شبع من الايام لا نظر شاب يتطلع الى جميع ضروب الجمال وافانين الرقة المختلفة التأثير والاجتذاب في الجنس الانثوي

وكانت مريم راقدة في سريرها بعد النوبة التي اصابتها ووجهها الناصع البياض منتفخ تحت شعرها الاشقر الجميل كانه ملطخ بالدماء من تأثير النوبة . وكانت احدى يديها الناعمتين البيضاوين على صدرها تقبض بها على ثوبها الابيض الناصع بتشنج شديد ويدها الاخرى تقبض بها على خشب سريرها . وكانت اجفانها مطبقة الا انها كانت ترتجف . وصدرها العريض البارز يخفق خفقاناً منتظماً . اما سائر جسمها فقد كان يابساً كانه قطعة واحدة

فلما وقع عليها نظر الشيخ علم من حالتها هذه ان نوبتها لم تفارقها بعد . فاسرع اليها واخذ بيده الجليلة يدها البيضاء الناعمة ليجس نبضها

في هذا الحين فتحت مريم عينيها . وكانتا زرقاوين نجلاوين (١) وفي اشفارها وَطَف (٢) كانما هي نبال مغروسة في اجفانها . وكانت هذه الاجفان مكحولة كحلاً طبيعياً فكان لزرقة

---

(١) واسعتين (٢) عن الثعالبي « الوَطَف طول الاشفار وتمامها » وفي الحديث انه « صلعم » كان في اشفاره وَطَف

عينيها تحت سواد اجفانها منظر رائع يعاكس بعضه بعضاً ولكن يكمل بعضه بعضاً. ذلك لان الزرقة في عينيها كانت تجعل لهما نظراً لطيفاً ضعيفاً ولكن السواد في اجفانها كان يمدّهما بقوّة وحماسة غريبة . فالناظر اليها لا يتمالك من الدهشة لاجتماع هذين النقيضين فيهما

ولما فتحت مريم عينيها نظرت بهما على غير هدىً الى ما حولها وهما ثائرتان منتفختان محمرّتان. واذ وقع نظرها على اشخاص غرباء في غرفتها وثبت كما بدفع دافع واستوت جالسة في فراشها وقد جذبت يدها من يد الشيخ بقوة . ثم ضحكت ضحكة شديدة . ضحكة ألم واشمئزاز واحتقار وصاحت باعلى صوتها ـ وانت ايضاً ايها الشيخ القذر ؟

فلم يفهم الشيخ كلامها ولكن الترجمان اسرع فتقدّم وهمّ بالكلام ليشرح لمريم سبب زيارة هذين الرجلين لها . فاتمّت مريم كلامها بغضب شديد دون ان تسمع كلام الترجمان. وكانت حنه في اثناء ذلك تحاول تسكينها وإنامتها

ـ وانت ايضاً ايها الشيخ القذر؟.. قبحاً لك ولشيبك ... وروماني ايضاً ؟.. قه قه قه .. شكراً لك ... قد كفاني ما رأيته منكم ايها الرومان اللئام .. انني انا المرأة الساقطة الدنيئة لا افعل ما تفعلونه ... انتم كبار عظام ولكن في نكث العهود واخلاف الوعود ... قه قه قه. جئتم تمدنوننا وتعلموننا النظام . فهلاّ بدأتم بنفسكم ...

ثم استجمعت قواها ورفعت ذراعيها في الهواء واغمضت جفنيها كانها تسبح في عالم غير هذا العالم وقالت متهقهة ويداها ممدودتان نحو الشيخ

ـ تعالَ .. تعالَ اليّ يا حبيبي الشيخ القذر .. تعالَ وامرغ جبهتك التسعينية في صدر اطهر من لحيتك ..

وكأنّ قواها نفدت بعد هذا الكلام فاستلقت دون هدىً على فراشها وعاودتها نوبتها في اشدّ حالاتها

ولم يترجم الترجمان شيئاً من هذا الكلام لسنيكا وابنه ولذلك لم يفهما شيئاً منه. فسأله الشيخ ماذا تقول المرأة. فهمّ الترجمان ان يصنف له كلاماً من عنده واذا بقزم تقدّم الجميع نحو فراش مريم وقال باللغة اللاتينية بشيء من النزق

ـ اظن انكم تحسنون صنعاً اذا تركتم هذه المرأة المسكينة وشأنها ايها الاخوان

فلما سمع الشيخ والشاب الكلام بلغتهما من ذلك القزم التفتا اليه بكبرياء رومانية وقال له لوسيوس ابن الشيخ

ـ وما شأنك انت هنا

فاجاب القزم بغضب

ـ شأني هنا ارفع من شأنك . نحن من وطن واحد وجنس واحد وانني لأخجل من ان يقال ان الرومانيين يأتون ما تأتونه الآن في هذا المكان بجانب فراش امرأة ساقطة مسكينة من التلذذ بمرأى عذابها وشقائها . انني فررتُ من رومه لكي لا ارى امثال هذه القسوة والاعمال تصدر عن « الرومانيين ممدّني العالم » فانا الآن باسم المدنية الرومانية التي تدّعونها و باسم الوطن الروماني والاسم الروماني ادعوكم الى الخروج من هنا

وكان الشيخ عابساً في اثناء هذا الكلام . اما ابنه فابتسم واجاب

ـ لا شك عندك في اننا ندنس الاسم الروماني في وجودنا في هذا المكان . ولكن انت ايها الروماني الشريف لماذا جئت الى هنا . لعلك جئت تصلي . . .

فاجاب القزم ولا ريب ان القارىء قد ادرك انه شيشرون الذي تقدم ذكره

ـ جئت الى هنا لامر افضل من الصلاة عندي . وانني اقدر ان امس بيدي يد هذه المرأة وتبقى يدي طاهرة اطهر من يدك

وكأن الشيخ ملّ هذا الخصام بين ابنه وذلك القزم او انه رأى الحق في جانبه في ملاحظته . فقال لابنه . لوسيوس لا تجاوب . ثم التفت الى شيشرون وقال بسكينة العقلاء

ـ ما اسمك يا بني . فاجاب شيشرون ـ اسمي ابن الارض

فابتسم الشيخ وقال ـ كلنا ابناء الارض يا بني ولكني احب ان اعلم اسمك لانني سررت بانني وجدت في مكان كهذا المكان رومانياً يقول ما تقول

فقال شيشرون وكان لا يزال في نزقه . وانت ما اسمك ياسيدي

فاجاب الشيخ ضاحكاً . اسمي سنيكا يا بني

فلما سمع شيشرون اسم « سنيكا » تراجع الى وراء مدهوشاً . فلمح الشاب دهشته فابتسم قليلاً . اما الشيخ فقال بجدٍ متلطفاً

ـ لا نعتب عليك يا بني لانك لم تعرفنا . نعم انا سنيكا المعلم في رومه وهذا ابني لوسيوس وقد جئنا الى هذه البلاد للسياحة فيها ترويحاً للنفس من عناء المعيشة في رومه وجوّها المضطرب . ولما وصلنا الى مجدل سمعنا بخبر هذه المرأة وَبلغنا الساعة سقوطها امام بيتها بنوبة عصبية فجئنا نفتقدها شفقة عليها ورغبةً في مشاهدة اثر من آثار الشقاء البشري في هذا الزمان

فلما تحقق القزم شيشرون ان الرجل الذي اقدم على اهانته بمثل ذلك الكلام هو

سنيكا المشهور اديب رومه الذي كان يقرأُ كتاباته بلذة تحت نخلة بجانب بيت مريم كما ذكرنا ذلك في ما تقدم اسقط في يده وحار في امره . وبعد ان تلعثم قليلاً تقدم باحترام من الشيخ الجليل وقال

ـ عفواً يا مولاي عن جراءَتي وغضبي . ومثلك يعفو عن مثلي . وقد اثر بي قولك انك لا تؤاخذني بما قلتُ وفعلتُ لاستحسانك قولي وفعلي . فان هذه الشهامة خليقة باديب الرومان وعظيم البيان . ثم التفت الى لوسيوس ابن الشيخ وقال : وانت يا سيدي لستَ باقل شهامة من ابيك الكريم . ولا عجب في ان يكون هذا الشبل من هذا الاسد . وانني كمغرم بالادب والبيان اتمنى ان تكون خليفته في رومه وسيد البلغاء والحكماء فيها . فعفواً عن جراءَتي ووقاحتي

ثم التفت شيشرون الى الشيخ وقال . هل ياذن لي مولاي بان اطلعه على السبب الذي جعل هذه المراءَة المسكينة في هذه الحالة . فاجاب الشيخ نعم انني احبُّ الاطلاع عليه ولكن يجب علينا اولاً ان ننظر في مداواة علتها واذهاب آلامها

فالتفت شيشرون الى مريم وهي على فراشها وقال . اظنها استراحت الآن لانني لا ارى عوارض الأَلم والنوبة في جسمها كانَّ نوبتها انتهت باستفراغها وسعها في غضبها

وفي الواقع ان مريم كانت في هذا الحين راقدة براحة وهدوءٍ في سريرها وقد ذهبت عن وجهها وجسمها دلائل الاضطراب التي كانت فيها

فدعا شيشرون الشيخ والشاب الى شجرة في الكرم خارج البيت قائلاً وهو يبتسم

ـ ان هواء هذا المكان ثقيل رديءٌ فلنخرج يا سيدي الى تلك الشجرة فانني كثيراً ما جلستُ تحتها اقراءُ كتاباتك السامية

ولما صار الثلاثة تحت الشجرة اخذ شيشرون يقص على سنيكا وابنه قصة مريم قبل سقوطها ويصف له نفسها واحوالها ويسرد له كثيراً من الاحاديث التي حدثته بها وهما على انفراد . فاعجب الشيخ والشاب بحالة نفس مريم وافكارها . والتفت الشيخ الى ابنه وقال له : اما قلتُ لك يا لوسيوس ان هذا كان نتيجة مبادئنا ومدنيتنا . ثم انتهى بشيشرون الكلام الى قصة يوليوس ومريم وكيف خدعها وهجرها بعد ان وعدها ان يعيش معها طول عمره معيشة شرف وكرامة . وانه يظهر ان مريم تحب يوليوس حباً شديداً فاصابتها هذه النوبة الشديدة بعد هجره اياها . قال شيشرون . وقد هجرها يا مولاي بحجة انه مدعو الى رومه لامر هام والحقيقة انه سافر الى اورشليم ليتزوج هناك بفتاة رومانية ذات مال طائل وقد كتمَ هذا عن مريم